المعجم العربي التراثي ومراحل تطوره

د.صورية جغبوب

جامعة خنشلة

الملخص:

يتناول هدا البحث الجهود المعجمية العربية التراثية ويحاول كشف أهم المرتكزات التي قامت عليها، حيث توفر التراث العربي على جملة من المؤلفات المعجمية التي تضاهي في قيمتها العلمية أحدث ما وصل إليه البحث في هدا المجال؛ حيث ظهرت فكرة المعجم العربي في شرحهم لبعض الألفاظ دون ترتيب لتظهر بعدها فكرة الرسائل اللغوية ومعاجم الموضوعات التي تجمع ألفاظ الموضوع الواحد، ثم مرحلة المعجم المكتمل التي ضمت أنواعا كثيرة من المعاجم في التراث العربي.

الكلمات المفتاحية:

المعجم؛ التراث ؛ معاجم الموضوعات؛ معاجم الألفاظ.

Summary:

This research deals with the efforts of the Arab lexical heritage and tries to uncover the most important pillars on which it is based, where the Arab heritage provides a set of lexical books that are comparable in scientific value to the latest research in this field; where the idea of the Arabic lexicon appeared in their explanation of some of the words without order to appear Then the idea of language messages and dictionaries of topics that combine the words of a single subject, and then the stage of the complete lexicon, which included many types of dictionaries in the Arab heritage.ctionaries;Heritage

مقدمة:

يعد المعجم أداة تواصلية هامة بين القارئ و المستجدات الحضارية و العلمية و اللغوي قديما و حديثا في هذا العصر المتسارع الخطى في تطوره و تعقده و تشابكه. و يختلف منظور العلماء للمعجم و دوره و وظيفته باختلاف منهجهم و مشاربهم؛ فالمعجم يمثل عند بعضهم الهوية اللغوية و الثقافية و الحضارية للأمة، كما يمثل عند آخرين خزانة اللغة و دستورها الأعلى، و فيصل استعمالاتها، و عند بعض آخر هو أداة تربوية و عَقَدية يعكس أفكار الجهة المصدِّرة للمعجم، و مهما اختلف منظور الدارسين و الباحثين للمعجم فإن المتفق عليه هو أن المعاجم بأشكالها المختلفة أصبحت تشكل ضرورة في مختلف جوانب الحياة اللغوية و العلمية و الثقافية، خاصة في هذا العصر الذي يتميز بالتفجر العلمي و الانفتاح العالمي.

و نظرا لأهمية هذا الموضوع – المعجم – فقد نال حظا وافرا من الدراسة في جانبيه النظري و التطبيقي قديما و حديثا.وسنتناول في هدا المقال الجهود العربية التراثية في مجال المعجم وطرق تبويبها وتنسيقها.

مراحل الدراسة المعجمية العربية:

اهتم العرب القدماء كثيرا بألفاظ اللغة و بدراسة معانيها لكن اهتماماتهم -في كل المجالات- لم تعرف المصطلحات الجديدة التي جاء بها علم اللغة الغربي، و لم تكن بالمنهجية التي عرفها ، و مع ذلك فإن الدراسات العربية القديمة قدمت مجهودات كبيرة في كل المجالات اللغوية لاسيما مجال المعجم من خلال جمعهم لألفاظ اللغة، و قد جرى جمع ألفاظ اللغة على مراحل أو أشكال لأن هذه الأشكال كانت متداخلة و متعاصرة، و ليست متعاقبة تحدها الفواصل الزمنية الثابتة.

1-المرحلة الأولى وهي الإرهاصات التي تدل على فكرة المعجم:

هي مرحلة تدوين ألفاظ اللغة و تفسيرها بدون ترتيب[1] فقد كانت الغرابة في الألفاظ و دلالتها عاملا من العوامل التي دفعت و شجعت الدراسات الدينية و اللغوية إلى جمع اللغة و تنقيتها. و قد قامت المحاولة الأولى لتفسير غريب القرآن على يد ابن عباس، ثم تتابعت المحاولات أو الدراسات التي تقوم في مجملها على خدمة النص القرآني. و أول من ألف كتابا في غريب القرآن أبو سعيد أبان بن تغلب بن رياح البكري [141هـ]. ثم ألفت بعد ذلك كتب تتناول غريب القرآن تحت مسميات مختلفة، مثل: مجاز القرآن، و المشكل في القرآن[2].

أما التأليف في غريب الحديث فأول كتاب في هذا المجال كان "غريب الحديث" لأبي عبيد القاسم الهروي [224هـ][3].

كما أخذ بعض الرواة يدونون هذا التراث اللغوي في رسائل متفرقة تمتاز بغناها، كما تمتاز بطابعها الابتدائي العفوي البعيد عن التنسيق و الترتيب، و ظهر ذلك في كتب "النوادر" ككتاب "النوادر في اللغة" لأبي زيد الأنصاري [ت215هـ]، و الأصمعي [ت216هـ]، و ابن السكيت [ت244هـ][4].

و هكذا بدأ العرب نشاطهم اللغوي بتفسير غريب القرآن، و غريب الحديث، و غريب ما ورد في الشعر و نوادره. و عندما شرع العلماء في التأليف المعجمي استمدوا أغلبية التعريفات من هذه الشروح الأولية لغريب القرآن و الشعر و الحديث و الشعر، و المفردات الخاصة.

و هكذا كانت المعاجم العربية المبكرة تسجل و تدرس الكلمات الغريبة التي كانت في مرحلة مبكرة. و ذلك في القرنين الأول و الثاني الهجريين.

2- **المرحلة الثانية وهي مرحلة الرسائل اللغوية ومعاجم الموضوعات:**

وهي مرحلة الوريقات التي جمعت الألفاظ المختصة بموضوع واحد كالحيوان و النبات و الشجر، و غيرها. و أول من ألّف في الخيل و خلق الإنسان أبو مالك عمرو بن كركرة الأعرابي [105هـ] صاحب النوادر، و أحد شيوخ الخليل بن أحمد، و أول من ألف في الحشرات أبو خيرة الأعرابي [157هـ] الذي روى عنه أبو عمرو بن العلاء. و لأبي عمرو الشيباني [206هـ] كتاب النحل و العسل، و للأصمعي [216هـ] رسائل في "الخيل" و "الشاء"، و "الإبل"، و "الوحوش" و "خلق الإنسان"، و "النبات و الشجر"، و للنظر بن شميل [216هـ] كتاب "خلق الفرس"، و لابن الأعرابي [231هـ] كتاب "الذئاب"، و لأبي نصر بن حاتم [231هـ] "الجراد"، و ما أكثر ما ألف في ذلك. [5]

كما ظهر ضمن هذا المنهج تخصيص رسائل خاصة بموضوع معين، كرسائل كتبت في الأصوات و المسائل الصرفية. من ذلك رسائل جمعت فيها الألفاظ لا بحسب المعاني، بل تبعا لأحد أصولها، و هي تحمل عادة اسم الحرف الذي يجمع بين هذه الأصول، و أشهر هذه الكتب كتاب "الهمز" لأبي زيد الأنصاري، و كتاب الجيم لأبي عمرو الشيباني.

و هناك نمط آخر من هذه الرسائل جمعت فيها الألفاظ التي تربط بينها رابطة المعاني أو الحروف. من ذلك مثلا الكتب التي ألفت في الأضداد، و قد جمعت فيها الألفاظ التي يستعمل

كل منها للدلالة على الشيء و ضده، و من ذلك أيضا ما ألف في مثلث الكلام رسائل عديدة جمعت فيها الألفاظ التي وردت على ثلاث حركات بمعان مختلفة، و أشهر ما ألف في هذا الباب مثلثات قطرب [206هـ]، و من ذلك أيضا الرسائل التي جمعت فيها الأفعال ذات الاشتقاق الواحد ككتاب "فعل أفعل" لقطرب، و كتاب "فعلت و أفعلت" للزجاج [311هـ]

و مجموعة أخرى اهتمت بمسائل صرفية مثل التذكير و التأنيث و غيرها. [6]

و عموما فإن أغلبية هذه الرسائل ألفت في ألفاظ الحيوانات و الشجر و غيرها من ملامح بيئة العربي لأنها تعكس هذه البيئة. و لأن العربي أراد أن يحافظ على لغته من خلال هذه المعاجم "إذ أن اللغة بالنسبة لأصحابها نصف الحياة و أداة التعبير، إن جمدت بيئتها جمدت معها الحضارة، و حضارة العرب معارف و فن و أدب، فالرسائل اللغوية تعطي أكبر دلالة على مدى انتماء العربي إلى وطنه، لأنها في أغلب مادتها تعرض للحيوان كالخيل و الإبل" [7]

و عموما يمكن حصر الذين صنفوا الرسائل اللغوية من خلال الجداول التالية:

1- **أشهر ما صنف في الحيوان**: الإنسان – الفرس – الخيل – الإبل.[8]

العصر	الشهرة	اسم المؤلف	الوفاة	أشهر مصنفاته
القرن الثاني الهجري	ابن كركرة الأعرابي	أبو مالك عمرو بن كركرة	155هـ	خلق الإنسان – الخيل
	الحرمازي	أبو علي الحسن بن علي	-	خلق الإنسان
	العكلي	أبو ثروان العكلي	-	خلق الإنسان – خلق الفرس
القرن الثالث الهجري	صاحب الكسائي	نصر بن يوسف	200هـ	خلق الإنسان – الإبل
	الكلابي	أبو زياد يزيد بن عبد الله بن الحر	200هـ	خلق الإنسان – الإبل
	النضر بن شميل	أبو الحسن النضر بن شميل	203هـ	خلق الإنسان – الفرس
	الكلبي	أبو منذر هشام بن مُحَمَّد السائب	304هـ	الخيل
	أبو عمرو الشيباني	إسحاق بن مراد	206هـ	خلق الإنسان – الإبل – الخيل
	قطرب	أبو علي مُحَمَّد بن المستنير	206هـ	خلق الإنسان – خلق الفرس
	أبو عبيدة	معمر بن المثنى	210هـ	خلق الإنسان – الإبل – الخيل
	أبو زيد الأنصاري	سعيد بن أوس بن ثابت	215هـ	خلق الإنسان – الإبل – الماعز و الغنم
	الأصمعي	أبو سعيد عبد الملك بن قريب	216هـ	خلق الفرس - خلق الإنسان
	الكرنبائي	أبو علي هشام بن إبراهيم الأنصاري	-	الخيل – الإبل – الشاء
	الرياني	أبو الحسن علي بن عبيدة	219هـ	خلق الفرس
	الضرير	أبو عثمان سعدان بن المبارك	220هـ	خلق الفرس

العصر	الشهرة	اسم المؤلف	الوفاة	أشهر مصنفاته
القرن الثالث الهجري	ابن سلام	أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي	224هـ	خلق الإنسان
	ابن زياد الأعرابي	أبو عبد الله مُحَمَّد بن زياد	230هـ	خلق الإنسان – الخيل
	الباهلي	أبو نصر أحمد بن حاتم	231هـ	الخيل – الإبل
	ابن السكيت	أبو يوسف يعقوب بن إسحاق	244هـ	خلق الإنسان – الإبل
	أبو جعفر	مُحَمَّد بن حبيب	245هـ	خلق الإنسان
	أبو محلم	مُحَمَّد بن هشام بن عوف السعدي	245هـ	خلق الإنسان
	ثابت بن أبي ثابت	أبو مُحَمَّد الكوفي	250هـ	خلق الإنسان
	السجستاني	أبو حاتم سهل بن مُحَمَّد بن عثمان	255هـ	خلق الإنسان – خلق الفرس – الإبل
	الرياشي	أبو الفضل العباسي بن الفرج	257هـ	الإبل
	ابن قتيبة	أبو مُحَمَّد عبد الله بن مسلم الدنيوري	276هـ	خلق الإنسان
	الضبي	أبو طالب المفضل بن سلمة بن عاصم	290هـ	خلق الإنسان

أشهر ما صنف في الوحوش – الحشرات – الحيات و العقارب – و ذوات الجناح [9]

العصر	الشهرة	اسم المؤلف	الوفاة	أشهر مصنفاته
القرن الثاني الهجري	أبو خيرة	نهشل بن زيد العدوي الأعرابي	157هـ	الحشرات
القرن الثالث الهجري	قطرب	مُحَمَّد بن المستنير	206هـ	الوحوش
	أبو عبيدة	معمر بن المثنى	210هـ	الحيات و العقارب
	الأصمعي	عبد الملك بن قريب	216هـ	الوحوش – الحشرات و النحلة
	ابن السكيت	يعقوب بن إسحاق	244هـ	الوحوش – الحشرات
	السجستاني	أبو حاتم سهل بن مُحَمَّد	255هـ	الوحوش – الحشرات – الطير - الجراد

أشهر المصنفين في الفَرْق – النبات و الشجر [10]

العصر	الشهرة	اسم المؤلف	الوفاة	أشهر مصنفاته
القرن الثالث الهجري	قطرب	مُحَمَّد بن المستنير	206هـ	الفرق
	أبو عبيدة	معمر بن المثنى	210هـ	الفرق
	أبو زيد الأنصاري	سعيد بن أوس	215هـ	الفرق – النبات و الشجر
	الأصمعي	عبد المملك بن قريب	216هـ	الفرق – النبات و الشجر
	الباهلي	أحمد بن حاتم	231هـ	النبات و الشجر
	ابن السكيت	يعقوب بن إسحاق	244هـ	الفرق – النبات و الشجر
	ثابت بن أبي ثابت	أبو ثابت بن أبي ثابت عبد العزيز اللغوي	250هـ	الفرق
	السجستاني	أبو حاتم سهل بن مُحَمَّد	255هـ	الفرق – النبات و الشجر
	الدنيوري	أبو حنيفة أحمد بن داوود بن ونند	282هـ	النبات

3- المرحلة الثالثة وهي مرحلة وضع المعاجم الشاملة المنظمة:

و هي مرحلة تمتاز بجمع اللغة كلها في كتاب واحد، أو حرف من الحروف، فهنا سعت المعاجم إلى تدوين اللغة بجميع ما ضمت من مفردات و أصول.

و كانت هذه البداية على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي [175هـ] في معجمه "العين"، حيث

ارتقت معه الصناعة المعجمية و أثمرت؛ فقد هدفت المعاجم العربية هنا إلى تدوين المفردات الكاملة للغة، و ذلك نتيجة قلق المعجميين من غزارة إنتاج اللغة، ففكر الخليل في طريقة رياضية لحفظها . فرتب الألفاظ ترتيبا صوتيا بحسب مخارج الحروف مع مراعاة أوائل الأصول، ثم تتابعت المعاجم و تنوعت في الترتيب؛ فرتبت إما بحسب المعنى، و إما بحسب الألفاظ. فمعاجم المعاني التي بدأت على شكل رسائل مختصة بموضوع معين، قد تطورت و تضخمت، بحيث جمعت تلك المواد بمختلف مواضيعها و رتبت في مؤلفات خاصة حملت عناوين مختلفة مثل: "الغريب المصنف" في غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام [224هـ] و هو أول من صنف في هذا الفن، و "التلخيص في معرفة أسماء الأشياء" لأبي هلال العسكري [395هـ]، و له أيضا "المعجم في بقية الأشياء"، و هناك المخصص لابن سيده الأندلسي [458هـ] .

أما معاجم الألفاظ، فقد رتبت بطرق متنـــــوعة منها:

طريقة الترتيب الصوتي؛ حيث سار على نهج الخليل مع بعض الاختلافات الطفيفة مثل: أبو منصور الأزهري [370هـ] في "تهذيب اللغة"، و الصاحب بن عباد [385هـ] في "المحيط"

و الترتيب بحسب الأبنية، مثل "ديوان الأدب" للفارابي [350هـ]

و الترتيب الألفبائي الذي يقسم إلى نوعين: الترتيب بحسب أوائل الكلمات بعد التجريد، مثل "الجيم" لأبي عمرو الشيباني [206هـ]، و "أساس البلاغة" للزمخشري [538هـ]، و "المصباح المنير" للفيومي [770هـ].

و النوع الثاني من الترتيب الألفبائي هو الترتيب بحسب أواخر الكلمات الذي يقسم إلى نوعين هما: الترتيب بحسب أواخر الكلمات بعد التجريد مثل: "الصحاح" للجوهري [393هـ] و "لسان العرب" لابن منظور [711هـ]، و "القاموس المحيط" للفيروز أبادي [817هـ] و هذا النوع يشمل المعاجم العربية الكبرى، و النوع الثاني هو الترتيب بحسب أواخر الكلمات من غير تجريد، مثل: "التقفية في اللغة" لأبي بشر اليماني بن اليمان البندنيجي [284هـ]

و فيما يلي بعض الجداول التي تبين أشهر اللغويين الذين ساهموا في بناء المعجم العربي الموضوعي

1- أشهر المشتركين في بناء المعجم الذي اعتمد على الموضوعات و معاني الكلمات باسم الصفات.

العصر	الشهرة	الاسم بالكامل	الوفاة	المعجم
القرن الثاني الهجري	أبو خيرة	نهشل بن زيد العدوي الأعرابي	157هـ	كتاب الصفات

القرن الثالث الهجري	النضر	أبو الحسن النضر بن شميل المازني	203هـ	كتاب الصفات
	قطرب	أبو علي مُحَمَّد بن المستنير	206هـ	كتاب الصفات
	أبو زيد	سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري	215هـ	كتاب الصفات
	الأصمعي	أبو سعيد عبد الملك بن قريب	216هـ	كتاب الصفات
	بكلذة	أبو علي الحسن بن عبد الله	-	كتاب الصفات
	الأصفهاني	أبو مُحَمَّد القاسم بن مُحَمَّد الديمراتي	-	كتاب الصفات

2- أشهر المشتركين في بناء المعجم الذي اعتمد على الموضوعات و معاني الكلمات باسم الغريب.

العصر	الشهرة	الاسم بالكامل	الوفاة	المعجم
القرن الثاني الهجري	المسعودي	أبو عبد الله القاسم بن معدن بن عبد الرحمن	157هـ	غريب المصنف
القرن الثالث الهجري	أبو عمرو الشيباني	- إسحاق بن مرار	206هـ	غريب المصنف
	قطرب	- أبو علي مُحَمَّد بن المستنير	206هـ	الغريب المصنف في اللغة
	أبو عبيدة			المصنف
	ابن سلام	- معمر بن المثنى	210هـ	الغريب المصنف
	أبو مسحل	- أبو عبيدة بن سلام الهروي	224هـ	الغريب
		- عبد الوهاب بن حريش الأعرابي	-	
القرن الرابع الهجري	ابن شجرة	أبو بكر أحمد بن كامل	350هـ	التقريب في كشف الغريب

3- أشهر المشتركين في بناء المعجم الذي اعتمد على الموضوعات و معاني الكلمات باسم الألفاظ.

العصر	الشهرة	الاسم بالكامل	الوفاة	المعجم
القرن الثاني الهجري	الضبي	أبو العباس بن مُحَمَّد بن يعلى بن عامر	168هـ	الألفاظ
القرن الثالث الهجري	الأصمعي	أبو سعيد عبد الملك بن قريب	216هـ	الألفاظ
	العتابي	أبو عمرو كلثوم بن عمرو ابن أيوب التغلبي	220هـ	الألفاظ
	ابن زياد الأعرابي	أبو عبد الله مُحَمَّد	231هـ	الألفاظ
	ابن السكيت	أبو يوسف يعقوب بن إسحاق	244هـ	الألفاظ
	أبو الوليد	عبد الملك بن قطن المهري القيرواني	256هـ	الألفاظ
القرن الرابع الهجري	الهمذاني	أبو الحسن عبد الرحمن بن عيسى بن حماد	320هـ	الألفاظ الكتابية
	قدامة	أبو الفرج قدامة بن جعفر البغدادي	337هـ	جواهر الألفاظ
	ابن فارس	أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي	395هـ	متخير الألفاظ
القرن الخامس الهجري	المرزباني	أبو نصر سهل بن المرزباني	420هـ	الألفاظ

4- أشهر المشتركين في بناء المعجم الذي اعتمد على الموضوعات و معاني الكلمات باسم بأسماء متفرقة.

العصر	الشهرة	الاسم بالكامل	الوفاة	المعجم
القرن الرابع الهجري	ابن أبان	أبو القاسم أحمد بن أبان بن سيد الإشبيلي	382هـ	العالم في اللغة
القرن الخامس الهجري	الاسكافي	أبو عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله الخطيب	421هـ	مبادئ اللغة
	الثعالبي	أبو منصور عبد الله بن مُحَمَّد بن إسماعيل	429هـ	فقه اللغة و سر العربية
	ابن سيده	أبو الحسن علي بن أحمد المرسي	458هـ	المخصص
	ابن الأجدابي	أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد	470هـ	كفاية المتحفظ
	الربعي	عيسى بن إبراهيم بن مُحَمَّد الربعي الوحاظي	480هـ	نظام الغريب

خاتمة: **و هكذا مرت المعاجم العربية القديمة بمراحل عدة، عرفت من خلالها أنواعا مختلفة من التنسيق و التبويب. فلم تكن المعاجم العربية مجرد مجموعات من الكلمات أو مقاطع رتبت بطرق اعتباطية، بل إن العرب طوروا المعاجم وفق أنظمة لغوية محكمة. رشحت هذه الدراسات لأن تحتل مكانة بارزة في التأريخ لعلم المعجم وبهذا يمكن لهده الجهود أن تأخذ بعدها الحضاري والإنساني.**

مصادر ومراجع البحث:

أمجد الطرابلسي: نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب، دمشق، 1954.

أحمد نعيم الكراعين : علم الدلالة، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر، بيروت، ط1، 1993.

محمد سليمان الأشقر : الفهرسة الهجائية والترتيب المعجمي ، دار البحوث العلمية ، بيروت ، 1972.

حمدان حسين محمد : التفكير اللغوي الدلالي وتحديات الغزو الثقافي الغربي ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، ليبيا ، 2002 .

إبراهيم أنيس : دلالة الألفاظ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مصر ، ط4 ، 1980.

أحمد مختار عمر: صناعة المعجم الحديث، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 1998.

10 .